عصابة المخلب الأسود

محمود سالم

عصابة المخلب الأسود

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

عصابة المخلب الأسود

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٤ ٢٨٤٦ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩١.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
لصوص الذهب!	١١
مهمة في «بومباي»!	١٧
صراعٌ وحشي!	٢٣
الخدعة!	٢٩
«راج خان»!	٣٥
أبواب الجحيم!	٤١
«وكر» راج خان!	٤٧
عصابة المخلب الأسود!	٥١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

لصوص الذهب!

لم يكن الاستدعاءُ مُلحًّا أو عاجلًا هذه المرة ... وأنهَى الشياطين تدريباتِهم الرياضيةَ وتمارينَ اللياقة ... وبعد أن حصل كلٌّ منهم على حمَّامٍ باردٍ اتجهوا إلى قاعة الاجتماعات، وإلى يسارهم كانت هناك خريطةٌ كبيرة مُعلَّقة على الحائط، وقد ظهر فوقها تفاصيلُ شبهِ الجزيرة الهندية الواقعة في قلب المحيط الهندي ... وقد أضاءَت دائرة بخطوط حمراء حول «بومباي» على ساحل المحيط.

تبادل الشياطين النظراتِ وهم يجلسون ... وكان من الواضح أن مهمَّتَهم القادمة سوف تكون في «الهند».

قال «عثمان»: هذا رائعٌ ... منذ زمن لم نذهب إلى «الهند»، ستكون فرصة ذهبية لزيارة معالم الهند السياحية.

إلهام: لا أظن أن وقتَنا سيتَّسع للزيارات السياحية خلال مهمَّتِنا.

قال «عثمان» باسمًا: حسنًا ... فلنحصل أولًا على إجازةٍ لزيارة معالم الهند السياحية، وبعدها نبدأ مهمَّتَنا الرسمية!

ابتسم الجميع ... وسمعوا صوتَ خطوات رقم «صفر» وهو يتَّجه إلى مكانه المظلم، ثم قال للشياطين: مرحبًا بكم!

أجاب الشياطين التحية ... وقال رقم «صفر»: لا بد أنكم توقَّعتُم أن المهمة القادمة سوف تدور في «الهند» ... وهذا صحيح، وهي مهمةٌ لم تكن عاجلةً، ولكن بعض التطورات الأخيرة جعلَتنا نعجِّل بإرسالكم إليها.

صمتَ رقم «صفر» ثم قال: أنتم ولا شكَّ تعرفون أنه ومنذ سنوات بعيدة، كانت هناك تجارةٌ رائجة جدًّا ما بين الهند والعالم العربي، خاصة ساحل الخليج العربي، وبعد افتتاح قناة السويس راجَت هذه التجارة أكثر ... وبسبب تأمين تجارة الهند والطريق البحري

إليها قامَت إنجلترا باحتلال مصر ... حتى لا تنقطعَ عنها التوابل الهندية ومنتجاتها ... والتي كانت إحدى المستعمرات الإنجليزية إلى أن نالَت استقلالَها ... والآن، فإن هناك طريقًا بحريًّا رائجًا يمتدُّ ما بين سواحل الهند والخليج العربي.

ظهر خطٌّ أحمرُ مضيءٌ، امتدَّ من سواحل شبه القارة الهندية متجهًا نحو بحر العرب ثم خليج عمان والخليج العربي.

قال رقم «صفر»: لقد تضاعفَت أهميةُ هذا الطريق البحري بعد الانتعاش الاقتصادي الذي حدث في دول الخليج بظهور البترول في بلدانه، فصارَت السفن والناقلات العملاقة تحمل بضائعَ بآلاف الملايين عبرَ هذا الطريق، وهي عادةً بضائعُ مصدَّرة من الهند، وتشمل في الأغلب على الخضروات والفاكهة واللحوم والمنسوجات ... أما أهم هذه البضائع على الإطلاق فهي المشغولات الذهبية الدقيقة.

قيس: إن الهنود بارعون في هذه الصناعة تمامًا.

رقم «صفر»: هذا صحيحٌ تمامًا ... وبالرغم من أن الهند لا تستخرج الذهب من أرضها إلا بكميات قليلة، إلا أنها حازَت شهرةً عالمية في هذا المجال، فهي تعتبر من الأسواق الرئيسية في العالم لتجارة الذهب؛ حيث يأتي إليها من كلِّ دول العالم التي تستخرجه من أرضها، وفي الهند يقوم الصنَّاع المهرة بصهرِ وتشكيلِ هذا الذهبِ إلى مشغولاتٍ دقيقة رائعة، تأخذ طريقَها إلى كلِّ دول العالم ... وخاصةً منطقة الخليج العربي، وعادةً فإن ميناء التصدير يكون في «بومباي»، فهي أقرب ميناء إلى الخليج.

صمتَ رقم «صفر» لحظةً، وتساءل «بو عمير»: وما هي المشكلة؟

أجاب رقم «صفر»: منذ بضعة شهور بدأَت بعضُ الأمور المريبة تحدثُ في طريق هذه التجارة، وكانت أولى الحوادث أن استوردَت إحدى الحكومات الخليجية شحنةَ مشغولاتٍ ذهبية بالملايين، وبعد شحنِها إلى الخليج في صناديقَ مقفلة، وبعد أن وصلَت المشغولاتُ إلى الخليج اكتشفوا أن الصناديق المغلقة والمختومة بأختام هذه الدولة، قد تمَّ تزويرها، وأن الصناديق لا تحتوي إلا على قِطَعٍ من الحجارة!

أحمد: هذه عملية نصب عالمية.

إلهام: وهل تم اكتشاف الفاعل؟

رقم «صفر»: للأسف لا ... فقد ضاعَت المسئولية برغم كلِّ الجهود التي بُذلَت لكشف الفاعل، وتحمَّلَت الحكومةُ الخليجية ثمنَ المشغولات الذهبية ... وصارَت كلُّ دول الخليج

تفرض رقابةً على شحناتها القادمة من الهند ... وساعدَتها الحكومة الهندية في ذلك ... ومنذ شهرين وقعَت حادثةٌ أخرى.

قيس: ماذا حدث؟

رقم «صفر»: كانت هناك سفينة أخرى مُحمَّلة بملايين الجنيهات من المشغولات الذهبية، وفي طريقها من ميناء «بومباي» إلى خليج «عمان»، التقطَت إشارةَ استغاثة من زورقٍ صغير كان على وشَكِ الغرق، فغيَّرَت اتجاهَها إليه، والتقطَت أفرادَه، ولكنَّ ملَّاحي السفينة فُوجئوا بركاب الزورق يُشهرون الأسلحةَ التي كانوا يُخفونها في ملابسهم، وتحت تهديدِ السلاح استولوا على شحنة المشغولات الذهبية التي تُقدَّر بالملايين، ونقلوها إلى زورقهم، ثم انطلقوا به هاربين دون أن يعرفَ إنسانٌ الوجهةَ التي اتجهوا إليها.

خالد: إنها عملية قرصنة!

رقم «صفر»: هذا صحيحٌ، ويبدو أنها نفس العصابة التي استولَت على شحنة المشغولات الذهبية في المرة الأولى، وبعدها استحال عليهم تنفيذُ خدعتِهم مرة أخرى؛ لذلك قاموا بسرقة الذهب بطريقة علنية، ومن المؤسف أن أحدًا لم يستطع التعرف عليهم برغمِ كلِّ ما بذلَته الحكومةُ الهندية في هذا الشأن.

إلهام: وهل توقَّفَت الحوادث بعد ذلك؟

رقم «صفر»: لقد وقعَت الحادثة الثالثة منذ يومين.

هدى: هل هي عمليةُ قرصنة أيضًا؟

رقم «صفر»: لا؛ فقد احتاطَت شركاتُ الشحن لعمليات القرصنة، فصارَت تبعث برجالٍ مسلَّحين فوق السفن احتياطًا، وللدفاع عن شحناتها إذا ما تكرَّرَت العملية السابقة، ولكن تلك العصابة لجأَت إلى وسيلة جديدة هذه المرة ... فما كادَت إحدى السفن المحمَّلة بالمشغولات الذهبية تُغادر الميناء متخذةً طريقَها إلى الخليج العربي، حتى دوَّى انفجارٌ شديد في حجرة المحرِّكات حتى تمَّ نسفُها تمامًا، وحدثَت فجوة في جدار السفينة جعلَت الماءَ يندفع إليها بقوة، فقفز البحارة والعمال ناجين بأنفسهم في اللحظة الأخيرة، والتقطَتهم سفينةٌ قريبة قبل أن يغرقوا.

هدى: والشحنة الذهبية؟

رقم «صفر»: لقد غَرِقَت مع السفينة بالقرب من شواطئ «بومباي» على عمق مائة متر تحت الماء.

عثمان: يا لَها من عصابة جهنمية ... لا بد أنهم استولوا على صناديق الذهب بعد ذلك.

رقم «صفر»: إنهم لم يستولوا عليه بعدُ ... فقد خطَّطَت هذه العصابة فيما يبدو لكي تنفجرَ السفينة، وتغرق قريبًا جدًّا من الشاطئ، ولكنَّ عطلًا ما تسبَّب في تأخير انفجار القنبلة، مما تسبَّب في غرق السفينة على عمقٍ كبير ... وهذا العمق يتطلَّب أجهزةَ غوصٍ خاصة من أجل انتشال السفن الغارقة، كما أن أيَّ غواص مهما كان محترفًا، لا يستطيع الغوصَ إلى هذا العمق إلا بملابسِ غوصٍ خاصة، وهو ما تسبَّب في تأخير تدخُّل هذه العصابة لانتشال الذهب الذي خطَّطَت للحصول عليه بهذه الطريقة.

صمت رقم «صفر» لحظة، ثم أضاف: ولكنهم لن ينتظروا طويلًا بالطبع.

وصدر من جهاز الفاكس الصغير الموضوع بجوار رقم «صفر» صوتٌ خفيض متقطع، يُنبئ بوصول رسالة، والتقط رقم «صفر» الرسالة، وألقى عليها نظرةً سريعة، ثم قال للشياطين: لقد جاءَتنا رسالةٌ من أحد عملائنا في «بومباي» ... إنه يقول إن العصابة بدأَت محاولاتِها للحصول على شحنة المشغولات الذهبية ... وهذا يستدعي تحرُّكَنا السريع.

زبيدة: وهل تتطلَّب المهمةُ القادمة إعادةَ الذهب الغريق فقط؟

رقم «صفر»: لا ... المطلوب أيضًا إلقاء القبض على أفراد هذه العصابة الخطيرة التي تخصَّصَت في الاستيلاء على شحنات الذهب المتجهة إلى الخليج. إن آخر المعلومات التي وصلَتنا عنها تقول إنها عصابةٌ دولية ذات إمكانيات ضخمة، ويُطلقون عليها في العالم السفلي للجريمة اسم عصابة «المخلب الأسود»، وزعيمها رجلٌ هندي كان والده من حواة الهند المشهورين، وقد ورث عنه الابنُ بعضَ هذه الحيل بعد اتجاهه إلى عالم الجريمة، إنه من أقوى رجال العصابات في الهند وهو مطلوب القبض عليه في جرائمَ عديدةٍ ... غيرَ أن أحدًا لا يعرف المكان الذي يختفي فيه، ويُدير من خلاله عصابتَه الإجرامية.

وضغط رقم «صفر» على زرٍّ بجواره، فعَمِلَت كاميرا سينمائية صغيرة، طبعَت على الحائط صورةً لرجلٍ هنديٍّ له شاربٌ ضخم ولحية كبيرة مهذبة، ويرتدي عمامة كبيرة فوق رأسه، وقد تدلَّى قُرطٌ ذهبي من أُذُنِه اليسرى ... وتلمع عيناه ببريقٍ حادٍّ ... بريق الشر.

قال رقم «صفر»: هذا هو «راج خان» زعيم «المخلب الأسود».

عثمان: وكم يبلغ حجم الشحنة الذهبية الغارقة في الماء؟

رقم «صفر»: إنها حوالي طنٍّ من المشغولات الذهبية الثمينة، مُوزَّعة على خمسة صناديقَ من الفولاذ، ولا نظنُّ أن هذه الصناديقَ تأثَّرَت بالانفجار والغرَق؛ لأنها من الصلب

السميك، الذي يستحيل تهشُّمُه إلا بقنبلة ذرية، وهذه الصناديق كانت موضوعةً في حجرة القبطان، في نهاية السفينة التي يَصِل طولُها إلى خمسين مترًا.

ضاقَت عينَا «زبيدة»، وقالت: ولكن استعادة هذه الصناديق والغوص إلى هذا العمق يتطلَّب أجهزةَ غوص خاصة.

رقم «صفر»: سوف تجدون كلَّ ما تحتاجون إليه بانتظاركم في «بومباي»، وعميلُنا هناك رقم «٣-ب» سوف يسعى إليكم حالما تَصِلون إلى «بومباي»، وسيقوم بتقديمِ كلِّ المساعدات المطلوبة، إن مهمَّتَكم تعتبر مهمة سريَّة ودقيقة للغاية؛ لذلك عليكم أن تكونوا حذرين تمامًا ... وصمتَ لحظةً وألقى نظرةً إلى ورقة أمامه، وقال: سوف يسافر إلى هذه المهمة أربعةُ شياطين فقط ... هم «أحمد» و«عثمان» و«إلهام» و«هدى»، وسيبقى الباقون متأهِّبين للمساعدة في أية لحظة إذا ما تطلَّب الأمر ذلك، وسيجد الشياطين الأربعة المسافرون أماكنَهم محجوزةً لهم في أول طائرة متجهة إلى الهند بعد ساعتين، وأرجو أن يُسرعوا بتجهيز حقائبهم للسفر، فلا وقتَ لإضاعته.

مهمة في «بومباي»!

هبطَت الطائرة المصرية في مطار مدينة «بومباي» بالقرب من الساحل الهندي، وبعد دقائق كان الشياطين الأربعة يغادرون المطار وقتَ الغروب.

وكانت هناك أربعُ حجرات محجوزة بأسمائهم في فندق الشيراتون الفاخر بالمدينة، فاستقلوا تاكسيًا إلى الفندق في قلب «بومباي»، وخلال الطريق طالعَتهم المدينةُ الجميلة بوجهين مختلفين؛ «بومباي» الفقيرة، ذات المنازل المتهالكة والأعشاش التي يسكنها الفقراء، في أماكنَ ملتوية الطرقات والأزقَّة التي تُشبه الثعابين ... وعلى الجانب الآخر ارتصَّت المعابدُ البوذية والهندوسية ومآذنُ الجوامع، في تآلفٍ فريد لأديانٍ ومذاهب عديدة.

قال «عثمان» باسمًا وهو يتشمَّم الهواء حوله: إن لمدن الهند رائحةً خاصة، أعرفها في وسط آلاف الروائح.

أحمد: هذا صحيح؛ فجوُّ الهند الحار الرطب المعبق برائحة الرطوبة الشديدة، ورائحة التوابل هو جوٌّ لا يمكن أن تُخطئَه الأنف أبدًا!

ابتسمَت «إلهام»، وقالت وهي تنظر إلى السماء: إنها ملبَّدةٌ بالغيوم ... وربما تُمطر بعد قليل.

هدى: أرجو ألَّا تمطرَ قبل وصولنا إلى الفندق؛ فإن أمطار «الهند» هي السيول بعينها ... وهي تجرف كلَّ شيء في طريقها كالفيضان.

ولم تكَد «هدى» تُكمل عباراتِها، حتى بدأ ينهمر مطرٌ غزير فوق المدينة الجميلة، مطرٌ كأنه السيل، وكأن أبواب السماء قد فُتحَت في تلك اللحظة، لتُلقيَ بما في جوفها فوق رءوس الناس، وفي دقائقَ قليلةٍ خلَت الطرقات من الناس والدواب بسبب المطر، وراقب «عثمان» قطراتِ المطر المنسالة فوق زجاج السيارة التاكسي، وقال: إن مطر الصيف بلا طعم ... فهو مثل احتساء زجاجة مياه غازية في الشتاء!

إلهام: ذلك لأننا اعتَدْنا على الأمطار خلال فصل الشتاء فقط في بلادنا.

وأخيرًا توقَّفَت السيارة أمام أبواب الفندق الفاخر، وغادرها الشياطين وقد حمل حقائبَهم بعضُ العاملين في الفندق ... وتسلَّم الشياطين الأربعة مفاتيحَ حجراتهم، وبعد أن حصل كلٌّ منهم على حمَّامٍ باردٍ يُزيل به عناءَ الرحلة الطويلة، وبدَّلوا ملابسهم، قالت «إلهام»: إنني أقترح أن نمضيَ السهرة في ملهى الفندق، ونتناول فيه عشاءً فاخرًا.

أحمد: أعتقد أننا نستحقُّ هذا العشاء بعد ذلك السفر الطويل.

تساءلَت «هدى»: ولكن كيف سنتعرَّف على العميل رقم «٣-ب»؟

أحمد: هذه هي مهمةُ العميل، لا مهمَّتُنا نحن ... فحسب التعليمات سيسعى هو للتعرُّف علينا ... هيَّا بنا.

واستقلوا المصعد إلى الطابق الرابع والعشرين حيث الملهى الليلي.

وانقضى الوقتُ سريعًا وهم يشاهدون بعضَ الرقصات الهندية الوطنية والأغاني الجميلة ... وتناولوا عشاءَهم على صوت الموسيقى ... وألقَت «إلهام» نظرةً إلى ساعة يدها وتثاءبَت قائلةً: هيَّا بنا ... لقد تأخر الوقت.

قطَّبَت «هدى» حاجبَيها قائلةً: كنت أظنُّ أن رقم «٣-ب» سيسعى للتعرُّف علينا خلال المساء، وأننا سنبدأ مهمَّتَنا في الصباح الباكر.

عثمان: ربما استجد ما تسبَّب في تأخر وصول رقم «٣-ب».

واستقلوا المصعد هابطين لأسفل ... وسألهم عامل المصعد: إلى أيِّ دورٍ ستهبطون؟

أجابه «أحمد»: الدور الرابع.

ضغط العامل على زرِّ الطابق الرابع، والتفتَ إلى الشياطين قائلًا بنصفِ ابتسامة: إن الشمس مشرقة ولكن السماء تُمطر بشدة.

كانت تلك هي كلمة السر ... وتبادل الشياطين نظرةً سريعة؛ فقد جاء التعارُف بطريقةٍ لم يتوقعوها، وعلى الفور أجابه «أحمد»: سيصحو الطقس بعد قليل من أجل النزهة!

مدَّ العامل يدَه يصافح الشياطين قائلًا: رقم «٣-ب» يُحيِّيكم، إن اسمي هو «زيني أمان»، وأخرج من جيبه ورقةً مدوَّنًا بها اسم أحد المقاهي، وقال: سوف نتقابل غدًا في هذا المقهى بالميناء ... فمن الخطورة أن أظهرَ معكم في هذا الفندق؛ فهناك عيونٌ مسلَّطة في كلِّ مكان ... أومأ الشياطين برءوسهم بالموافقة، وتناول «أحمد» الورقة من رقم «٣-ب»، وتوقَّف المصعد في الطابق الرابع، واتجهوا إلى حجراتهم ... وخلال دقائق كانوا يغطُّون في

نوم عميق ... وفي الصباح استقل الشياطين تاكسيًا إلى منطقة الميناء ... وكان الميناء غاصًّا بالبحارة والعمال المسافرين ... واستفسر الشياطين عن مكان مقهى «الزهرة البنفسجية»، فدلَّهم أحدُ العاملين في الميناء عن المكان.

وهناك كان «زيني أمان» بانتظارهم ... فرحَّب بهم ... وراح الجميع يحتسون الشاي الأخضر دون سكر كما يفعل أهل الهند ...

سألَت «إلهام» رقم «٣-ب»: هل تشكُّ أننا مراقبون؛ ولذلك طلبتَ أن نتقابل في هذا المقهى؟

أجاب «زيني أمان»: إن «راج خان» له عيونٌ في كل مكان، ومن المؤكد أنه ينتظر وصولَ بعضِ العرب الذين سيحاولون انتشالَ الذهب الغارق؛ ولذا فإن ظهوري معكم في الفندق قد يُثير الاشتباه فينا جميعًا، أما في هذا المكان فإن أحدًا لن ينتبهَ إلينا ... فهناك آلاف المسافرين والزوَّار ... ولن يكون وجودُنا مريبًا وسطهم.

أحمد: يبدو أن عصابة «المخلب الأسود» ذات قوة أكبر مما ظننا.

زيني أمان: إن رجال شرطة «بومباي» بأكملها مجندةٌ من أجل الإيقاع بهذه العصابة دون فائدة؛ فبالإضافة إلى قوة «المخلب الأسود» وتنظيمها، فقد استطاع رئيسُها اختراقَ بعضِ المسئولين الذين يساندونه في الخفاء، ويقومون بحمايته في الوقت المناسب.

إلهام: وهل سيُسهلون له عمليةَ انتشال الذهب الغارق؟

زيني: هذا مما لا شك فيه ... إن رجال الشرطة وخفر السواحل يفرضون حصارًا حول مكانِ غرقِ السفينة، ولكن «راج خان» استطاع اختراقَ هذا الحصار، وأرسل ببعض رجاله إلى قلب الماء لاستكشاف السفينة الغارقة، وأعتقد أن استخراج الذهب من مكانه قد يستغرق يومًا أو يومين.

هدى: إن هذا يتطلَّب منَّا سرعةَ العمل قبل أن تسبقَنا هذه العصابة.

زيني: هذا ما أنصحكم به بالفعل، ولكنكم بحاجةٍ إلى غطاءٍ أولًا من أجل أن يبدوَ نزولُكم الماء وغوصُكم طبيعيًّا.

أحمد: وماذا تقترح لذلك؟

زيني: لقد جهزتُ لكم بعض الأوراق التي تُثبت أنكم بعضُ الدارسين في إحدى الجامعات الخليجية، وأنكم تقومون بدراسة التيارات البحرية المائية المتجهة من سواحل الهند حتى شاطئ عمان وأثرها على الملاحة، ومثل هذه الدراسة بالطبع تتطلَّب الغوص في الماء.

إلهام: إنها تغطيةٌ رائعة.

زيني: وقد جهَّزتُ بعضَ الأجهزة الخاصة بهذه الدراسات البحرية ... وأيضًا فقد قمتُ باستئجار كابينتَين على الشاطئ، ستمكثون فيهما وقتَ المهمة ... وستجدون بهما كلَّ الأجهزة الخاصة بالغوص إلى عمقٍ كبير ...

هدى: لقد قمتَ بعملٍ كبير في وقتٍ قصير.

زيني: هذا هو عملي الذي أتقاضَى عنه أجري.

أحمد: وأين موقع السفينة الغارقة بالضبط.

أخرج «زيني» من جيبه خريطةً صغيرة تمثِّل منطقة الميناء وما حولها ... وأشار إلى نقطةٍ فيها تقع على مسافةٍ صغيرة من الميناء جهة الجنوب، وقال: هذا هو مكان السفينة الغارقة بالضبط ...

عثمان: وأين موقع الكابينتَين اللتين استأجرتَهما لنا؟

أشار «زيني» إلى نقطة تبعد عن الأولى بمسافة قليلة، وقال: هذا هو مكان الكابينتَين، وهما تبعدان عن مكان السفينة الغارقة بحوالي كيلومترين، حتى يمكنكما الغوص في قلب الماء في منطقة بعيدة لا تُثير الشبهات، ومنها تتجهون غائصين إلى السفينة الغارقة.

أحمد: هذا جيد ... والآن فلنتجه إلى مكان الكبائن.

زيني: هيَّا بنا.

واتجهوا جميعًا جهةَ الشاطئ، الذي كان غاصًّا بالمصطافين، وقد تركوا منطقةَ الميناء خلفهم، وظهرَت منطقة الكبائن.

كانت كابينتَا الشياطين واسعتَين مريحتَين، وفي ركنٍ منها شاهد الشياطين عددًا من بِذْلات الغوص الخاصة بالأعماق ... وعددًا من الكشافات الكهربية لإضاءة أعماق الماء، كما شاهدوا أيضًا بعضًا من بنادق الأعماق.

سأل «أحمد» العميل «٣-ب»: هل تتوقع مواجهةً تحت الماء بيننا وبين عصابة «المخلب الأسود»؟

زيني: بالتأكيد ... فهم لن يسمحوا لأيِّ إنسانٍ بالاقتراب من مكان السفينة الغارقة، وسيبادرون بالهجوم سريعًا.

رفع يدَه محذِّرًا وهو يُضيف: أيضًا هناك أسماك القرش الكبيرة، إنها عادةً لا تتجه قريبًا من الشاطئ ولكن مَن يدري، قد تُصادفون واحدةً منها في طريقكم! وصمتَ لحظةً ثم تساءل: ما هي خطتكم؟

إلهام: إننا بحاجة إلى استكشاف موقع السفينة الغارقة أولًا، وبعد ذلك نقوم بمحاولتنا لانتشالِ الذهب الغارق فيها.

أحمد: إنني أقترح أن نقومَ بهذه المحاولة ليلًا حتى لا نلفتَ الأنظار إلينا.

زيني: من المؤسف أنني لا أستطيعُ مشاركتكم هذه المهمة أو البقاء معكم، وإلا لفتَ الانتباهَ غيابي عن عملي.

عثمان: إننا نشكرك على كلِّ ما قدمتَه لنا من معونة.

زيني: بعد أن ينتهيَ عملي سآتي لأطمئنَّ عليكم!

وصافحهم «زيني»، واتجه خارجًا.

نهض «أحمد» وهو يقول: هيَّا بنا نستكشف مكان السفينة الغارقة.

تساءلَت «إلهام» في دهشة: ألن تنتظرَ حتى المساء؟ إنك أنت الذي اقترحتَ ذلك.

أحمد: لقد غيرتُ رأيي؛ فالوقت لا يحتمل الانتظار ... سأذهب أنا و«عثمان» للاستكشاف، وستبقيانِ أنتِ و«هدى».

أومأَت «إلهام» برأسها موافقةً في صمت.

ارتدى «أحمد» و«عثمان» بِذْلاتِ الغوص في الأعماق، وتسلَّحَا ببندقيَّتَي صيدٍ في الأعماق، وحمل كلٌّ منهما بطاريةً يدوية كبيرة، وألقى الاثنان نظرةً إلى الشاطئ الذي كان خاليًا من الرواد ... وقد بدأ المطر يتساقط في عنفٍ، فاختفى بقيةُ المصطافين في كبائنهم ... كان الوقت مثاليًّا، ولوَّح «أحمد» و«عثمان» لـ «إلهام» و«هدى»، ثم اتجهَا إلى الماء وقفزَا فيه.

ومن الخلف لمعَت عينان حادَّتان وهي تراقب ما يحدث على الشاطئ بنظارةٍ مقرِّبة، وعندما قفز الشيطانان في الماء أعطى صاحبُ العينين إشارةً خاصة بيده ... وعلى الفور بدأ فريقٌ آخر عملَه ... وكان فريقًا من نوعٍ خاص ... فريقٌ للقتل!

صراعٌ وحشي!

قفز «أحمد» و«عثمان» إلى قلب الماء ... وراحَا يغوصان بقوةٍ على مسافةِ أمتارٍ قليلة من سطح الماء ... وقطعَا مسافة كيلومترين جهة الجنوب، وألقيَا نظرةً متفحصة حولهما ... ولكن لم يكن هناك أثرٌ للسفينة الغارقة، وظهرَت الدهشة على وجهَي «أحمد» و«عثمان»، وأشار «عثمان» بيده لـ «أحمد» متسائلًا: أين هي السفينة الغارقة؟

ألقى «أحمد» نظرةً لأعلى ... لم يكن هناك أيُّ أثر لزوارق خفر السواحل الهندية ... ولا لأيِّ إنسانٍ في المكان، وبلغةِ الأصابع أشار «عثمان» لـ «أحمد» قائلًا: يبدو أننا أخطأنا في الوصول إلى مكان السفينة الغارقة، ولم نحدد الاتجاه بالضبط!

أحمد: هذا صحيح ... فلنحاول البحث عن مكانها!

عثمان: ولكن في أيِّ اتجاه؟

أحمد: فلنغوص لأسفل ثم نحدِّد الاتجاه.

وراح الاثنان يغوصان إلى أسفل، لكنهما غاصَا بضعةَ أمتار، وتوقَّفَا من أجل أن يتكيَّفَ جسدُ كلٍّ منهما بضغطِ الماء المتزايد عليهما ... وعلى مسافةِ أربعين مترًا اضطرَّ الاثنان لإشعال مصابيحهما اليدوية بسبب الظلام، وشرعَا يواصلان غوصَهما ... وعلى عمقِ ستين مترًا ظهر لهما الشاطئُ الصخري بأسفل، وقد تغطَّى بالأعشاب البحرية والأصداف والمرجان، والأسماك الملونة تسبح هنا وهناك ... ولكن ... لم يكن للسفينة الغارقة أيُّ وجود في المكان ... وأشار «عثمان» لـ «أحمد» قائلًا: إننا نسبح في اتجاه خاطئ؛ فالمفروض أن السفينة غَرِقَت على عمقِ مائة متر، وهذا المكان لا يزيد عمقه على ستين مترًا؛ ولذلك فمن المستحيل أن تكون هذه البقعة هي مكان غرق السفينة، أو حتى مكان قريب منها!

أحمد: هذا صحيح، ومن المؤكد حدوث خطأ ما ... فلنصعد لأعلى.

واتجه الاثنان صاعدَين لأعلى ... ولكن ... فجأةً توقَّف الاثنان في دهشة عندما لمحَا الشيءَ المتساقطَ من سطح الماء لأسفل مختلطًا بالدماء الحارة الساخنة.

كانت أجزاءٌ كبيرة من اللحم راحَت تهبط من سطح الماء متهاويةً إلى القاع، وقد لوَّنَت الماء حولَها بلونٍ أحمر دموي.

تبادل الشيطانان نظرةَ دهشة، وتساءل «عثمان»: ما معنى ذلك ... مَن الذي يُلقي هذا اللحم في قلب الماء، ولماذا؟

ولم يتَّسع الوقت لـ «أحمد» ليشرح لـ «عثمان» ما استنتَجه ... ففي اللحظة التالية بدأ الهجوم الرهيب، هجوم أسماك القرش، وأدرك «عثمان» متأخرًا أن مَن ألقى باللحم الطازج من سطح الماء، يريد قتلَهما بأسماك القرش التي تندفع إلى مكان اللحم والدماء، وتُمزِّق مَن تجده في طريقها ...

ولم يكن هناك شكٌّ في أن مَن فعل ذلك هو عصابة «المخلب الأسود»، التي أرادت التخلصَ منهما بأسرع الطرق ... ودون أن تُطلقَ عليهما رصاصةً واحدة ... أشار «أحمد» لـ «عثمان» أن يُسرعَ بالصعود لأعلى بأقصى سرعة ... ولكن ... أثناء صعودهما إلى أعلى قطع عليهما الطريقَ سمكةُ قرش كبيرة، راحَت تحوم فوق رأسَيهما وقد فتحَت فكَّها المرعب.

ومن أسفل ظهرَت سمكةٌ ثانية وثالثة ... ورائحة الدماء تجذب أسماكًا أخرى أكثرَ توحُّشًا وأكبر حجمًا.

أشار «أحمد» إلى «عثمان» قائلًا: لو بقينا في مكاننا دقائق أخرى لامتلأ المكانُ بعشراتٍ من أسماك القرش، ولن يكون لنا أيُّ نجاةٍ منها.

عثمان: وما العمل؟

أحمد: علينا أن نخوضَ معركتنا مع أسماك القرش حولنا لنُفسحَ لأنفسنا طريقَ الهرب بأقصى سرعة.

صوَّب «أحمد» بندقية الأعماق نحو أقرب سمكة قرش إليه وأطلقها ... وانطلق سهمٌ انغرز في بطن السمكة، التي تلوَّت بشدة كأنما صعقها تيارٌ كهربائي ... واندفع منها دماءٌ غزيرة.

أطلق «عثمان» سهمًا آخر على نفس السمكة، فكفَّت عن الحركة وغاصَت ميتة مثل حجر ثقيل ... وعلى الفور اندفعَت بعض الأسماك المتجهة نحو القرش الميت وراحَت تُمزِّقه ... وقد انصرفَت عن «أحمد» و«عثمان»، وأشار «أحمد» لـ «عثمان» أن ينتهزَ الفرصة بالصعود لأعلى، ولكن سمكة القرش الكبيرة بأعلى قطعَت عليهما الطريق مرةً ثانية ...

ومن بعيد ظهرَت عشراتٌ من أسماك القرش الرهيبة، التي جذبَتها رائحةُ الدماء من أماكنَ بعيدة ... ولم يكن الوقتُ يحتمل أيَّ انتظار، فصوَّبَ الشيطانان أسلحتَهما إلى السمكة الكبيرة، وأطلقاها في لحظةٍ واحدة ...

وانتفضَت السمكة الكبيرة في توحُّشٍ من إصابتها، واندفعَت في جنون نحو «أحمد»، وكادَت تقضم ذراعَه برغم إصابتها القاتلة، ولكن «أحمد» تحاشى أسنانها المرعبة، وسبح فوقها في مهارةٍ مصوِّبًا بندقيتَه إلى السمكة ثم أطلقها، وانفجر دمٌ غزير من السمكة ... وانتفضَت انتفاضةً أخيرة ثم تهاوَت لأسفل، وسبح الشيطانان لأعلى بكل قوتهما إلى سطح الماء ... وأخيرًا رفعَا رايتَهما فوق سطح الماء وخلعَا قناعَيهما وتنفَّسَا في عمق، لقد نجيَا من أسماك القرش بمعجزة ...

فجأةً اندفع زورقٌ بخاري سريعٌ باتجاه الشيطانَين، وشاهد الاثنان بعضًا من رجال خفر السواحل الهندية داخل الزورق، وقد صوَّبَا بنادقَهم إليهما.

وتوقَّف الزورق أمام الشيطانَين، وسألهما أحدُ الضباط من داخله: ماذا تفعلان هنا؟

أحمد: لقد كنَّا نتسلَّى بصيد أسماك القرش المتوحشة!

حدَّق الضابط في «أحمد» غاضبًا، وقال: إن وقتي لا يتسع للمزاح!

أحمد: إنني لا أمزح، وإذا ألقيتَ نظرةً تحت سطح الماء لشاهدتَ وليمةً من أسماك القرش، التي تدافعَت إلى هذا المكان، كأن شيطان الشر قد أرسل إليها ببرقياتٍ عاجلة للحضور!

عثمان: لقد ألقى أحدُ الأشخاص بقطعٍ من اللحم الساخن من سطح الماء، مما جعل كلَّ أسماك القرش في المحيط تهرع إلى مكاننا.

الضابط: ومَن الذي فعل ذلك؟

أحمد: إننا لا ندري بالطبع ... فقد هبطنا إلى قلب الماء لدراسة بعض التيارات المائية؛ لأننا نُعدُّ دراسة عنها وفوجئنا بما حدث!

الضابط: من الأفضل لكما أن تتجهَا إلى الشاطئ، ولا تحاولَا الغوص مرةً أخرى.

ورفع يدَه محذِّرًا وهو يقول: إنكما لا تدريان ما قد يحدث لكما المرة القادمة! وأشار إلى بعض الجنود فقادوا الزورق مبتعدين ... وسبح الشيطانان حتى الشاطئ، وخرجَا منه.

وقال «عثمان»: يبدو أن نفوذ عصابة «المخلب الأسود» قد وصل إلى رجال الشرطة وخفر السواحل في هذا المكان.

أحمد: ربما ... فإن إلقاء مثل تلك القطع الكبيرة من اللحم كان يتطلب استخدام زورق، وهو ما كانت ستلاحظه حرس السواحل!

واتجه الاثنان إلى كابينتِهما ... وتساءلَت «إلهام» في دهشة: لقد عدتما سريعًا!

قصَّ «أحمد» ما حدث ... فقالَت «هدى» في دهشة: إن ما حدث معناه أن وجودنا قد انكشف لعصابة «المخلب الأسود»، وأنهم يعرفون مَن نكون، وقد اتخذوا قرارًا سريعًا بالتخلص منا.

أحمد: هذا مؤكد.

إلهام: ولكن كيف أن الخريطة التي أعطاها رقم «٣-ب» لنا، كانت خريطةً خاطئة لا تدل على مكان السفينة الغارقة؟

أحمد: ليس لهذا غيرُ تفسير واحد.

في صوتٍ عميق أضاف: يبدو أن عصابة «المخلب الأسود» قد تمكَّنَت من شرائه أيضًا!

هدى: ليس هناك استنتاجٌ آخر ... ومن المؤكد أنه أبلغ العصابة بحقيقتنا، وكذلك قرروا التخلص منا.

عثمان: وما العمل الآن؟

أحمد: علينا استكشاف مكان السفينة الغارقة وبأقصى سرعة ... ومهما كانت المخاطر.

تساءلَت «إلهام» في دهشة: لماذا قررتَ اكتشاف السفينة الغارقة نهارًا يا «أحمد» برغم أنك أخبرتَ رقم «٣-ب» بأننا سوف نستكشفها مساء ... هل كنتَ تشك فيه؟

أحمد: إلى حدٍّ ما ... فقد أدهشني أنه تقابل معنا في مقهى بقلب الميناء؛ خشيةً من أن يتعرَّفَ علينا رجالُ عصابة «المخلب الأسود» في الفندق ... بالرغم من أنه من المنطقي أن يكون العكس هو الصحيح؛ فمنطقة مثل هذا الميناء ستكون عيون رجال العصابات بها أكثر.

عثمان: هل تقصد أن «٣-ب» أتى بنا إلى الميناء من أجل أن يشاهدَنا رجال عصابة «المخلب الأسود» ويتعرفوا علينا؟

أحمد: يبدو أن هذا هو ما حدث.

عثمان: هذا الخائن.

أحمد: لهذا خدعتُه بإخباره أننا سنغوص ليلًا؛ فقد خشيتُ من أن يُعدَّ لنا كمينًا ... ولكن يبدو أن هناك عيونًا تُراقبنا طوالَ الوقت، وما إن شاهدونا نغوص في الماء، حتى أسرعوا بمحاولة التخلص منا.

إلهام: إذن فسيصير اللعب على المكشوف.

أحمد: وهذا ما يستدعي منَّا سرعة الحركة.

هدى: ولكننا حتى الآن لا ندري مكانَ غرق السفينة لنغوص إليها.

أحمد: لقد شاهدتُ زورقَ خفر السواحل يتجه شمالًا ... وأظن أن ركَّابَه يقصدون مكانَ السفينة الغارقة لحراستها ... وإذا درسنا طبيعةَ ساحل هذا الميناء والشاطئ المحيط به، فسنكتشف بواسطة الخرائط القارية وخرائط الأعماق، أنه لكي نصلَ إلى عمق مائة متر حتى نصلَ للقاع، فإنه يتعين علينا قطْعُ مسافة كيلومترين من شمال الميناء.

تساءلَت «إلهام» في دهشة: من أين حصلتَ على هذه المعلومات يا «أحمد»؟

أحمد: لقد راجعتُ قبل سفري الخرائطَ الخاصة بهذا المكان؛ ولهذا شككتُ في العميل «٣-ب» عندما دلَّنا على مكانٍ كنتُ أعرف أن عمقَه لا يزيد على ستين مترًا، وقال بأن السفينة المحملة بالذهب غَرِقَت فيه، ولكني لم أَشَأْ أن أُظهرَ له شكِّي في وقتها.

هدى: ولكننا نحتاج إلى زورق من أجل مهمتنا!

أحمد: هذا صحيح ... نحن بحاجة إلى زورق سريع ومسلَّح أيضًا.

وفي اللحظة التالية ظهر الزورق المسلح ... ولكن ركابه كانوا يهدفون إلى شيء آخر ... إلى التخلُّص من الشياطين!

الخدعة!

انطلق الرصاص من الزورق البخاري نحو الشياطين كالمطر ... وفي الحال قفز الشياطين إلى الوراء، وبقفزة بارعة كانوا يحتمون خلف بعضِ الصخور القريبة من الشاطئ، على حين كان الرصاص يمزِّق الهواء حولهم ... وأطلَّ بعضُ سكان الكمائن المجاورة في رعب، ولكن طلقات الرصاص المنهمرة جعلَتهم يُلقونَ بأنفسهم على الأرض وينكمشون في هلع ... وقفز ركاب الزورق المسلح إلى الشاطئ، واندفعوا فوق الرمال تجاه الصخور التي اختبأ خلفها الشياطين ... كان عددُهم ستةً ولم يكن مع الشياطين أيُّ سلاح، غير بندقية الأعماق في يد «إلهام»، التي صوَّبَتها نحو أقرب المهاجمين ثم أطلقَتها ... وسقط أولُ المهاجمين مصابًا ... وأمسك «عثمان» بكرته المطاطية قائلًا: لا يزال معي سلاحي السِّري الذي يُفيد في الأزمات دائمًا.

طارَت «بطة» نحو جبهة أقرب المهاجمين، فسقط فاقدًا الوعي دون كلمة أو صرخة، وأطلقَت «إلهام» بندقيةَ الأعماق، ولكن السهم طاش فهتفت ساخطة: لقد كان السهم الأخير في البندقية وقد طاش.

أحمد: سنخوض معركتنا بأيدينا العارية لو لزم الأمر.

اقترب المسلحون الأربعة من الصخور ... وكانوا خليطًا من جنسيات مختلفة، ومدافعهم الرشاشة تُطلق الرصاص ... وصاح صوتٌ من خلف الرصاص يقول: إننا سنستسلم ... لا تُطلقوا الرصاص.

ابتسم المسلحون الأربعة، وقال أحدهم ساخرًا: يبدو أن الأنباء التي جاءَتنا عن بطولة وجسارة هؤلاء الشياطين كانت مبالغًا فيها ... فها هم يستسلمون مع أول طلقة. صاح رئيس المهاجمين في الشياطين: اخرجوا من خلف الصخور وأيديكم مرفوعة فوق رءوسكم ...

ظهر الشياطين من خلف الصخور وأيديهم مرفوعة لأعلى ... فقال أحد المهاجمين في دهشة: إن بينهم فتاتَين ... يبدو أن مهمَّتَنا ستكون سهلة.

قال «أحمد» ساخرًا: أظن أنك ستغير رأيك حالًا أيها الغبي!

وقبل أن ينتبهَ المسلحون الأربعة لما يقصده «أحمد»، كان الشياطين الأربعة يقدمون عرضًا رائعًا؛ فقد تماسكَت أيديهم في لحظة خاطفة، وقفزوا في الهواء بحركة أكروبات رائعة، ولفَّ كلٌّ منهم حول نفسه مرتين في الهواء، قبل أن يسقطَ كلُّ شيطان فوق رأس أحد المهاجمين ... فوجئ رجال العصابة بالحركة البارعة التي قام بها الشياطين، وقبل أن يستطيعوا الحركة أو القيام بردِّ فعلٍ مناسب، كانت أقدامُ الشياطين تُطيح بأسلحتهم بعيدًا ... وأمسك «عثمان» بأحد المهاجمين، ورفعه فوق قدمه بحركة «جودو» بارعة، وألقاه للوراء فاصطدمَ رأسُ رجلِ العصابة بإحدى الصخور ولم يتحرك من مكانه.

طارَت قبضة «أحمد» نحو مهاجم آخر، وأخذَت قبضتُه الأخرى طريقَها إلى خصمه ... فتهاوَى على الأرض، وفي لحظةٍ واحدة وبحركةٍ واحدة ... امتدَّت يدَا «إلهام» و«هدى» بضربتَي سيفِ يدٍ هائلتَين إلى رَجُلَي العصابة الباقيَين ... ثم أمسكَت كلٌّ من «إلهام» و«هدى» بأحد رَجُلَي العصابة، وأدارَت ذراعه، فطار الاثنان في الهواء ثم سقطَا على الأرض يتلويان من الألم الشديد.

وانتهت المعركة سريعًا ولم تستغرق أكثرَ من دقيقة واحدة، وكان رجال العصابة الأربعة ممدَّدين فوق الرمال.

وقال «أحمد»: هيَّا بنا ... فلا وقتَ لإضاعته.

التقط كلٌّ من الشياطين أحدَ المدافع الرشاشة، واندفعوا نحو الزورق المسلَّح بعد أن حصلوا على ملابس الغوص وكوَّموها داخل الزورق ... أدارَت «إلهام» الزورقَ السريع متجهةً إلى الشمال ... وقد بدأ المطرُ يَهْطِل كالسيل، وارتفعَت أمواجُ المحيط الهادرة ... ومن بعيدٍ شاهدوا بعضًا من زوارق رجال عصابة «المخلب الأسود»، وهم يقفزون إلى قلب المحيط في ملابس الغوص، فقال «عثمان»: من حسنِ حظِّنا أن المحيطَ هائجٌ بتلك الصورة، ولن يتنبهَ أحدٌ إلى وجودنا.

أحمد: فلنُسرع بالغوص واستكشاف مكان السفينة الغارقة.

ارتدى الشياطين الأربعة ملابسَ الغوص، ثم قفزوا إلى الماء معًا ... وراحوا يغوصون لأسفل بسرعة، ولم يستغرق هبوطُهم طويلًا! وأخيرًا ظهرَت أمامهم السفينةُ الغارقة وبعضُ الغواصين من رجال العصابة يتفحصونها من الأمام ... أشار «أحمد» لزملائه ألَّا يُصدروا صوتًا أو حركة تكشف مكانهم ... وأن عليهم التسلل إلى السفينة من مؤخرتها

... فليس من مصلحتهم القتال مع رجال العصابة ... وتسلَّل الشياطين في هدوءٍ في قلب الظلام المسيطر على قلب الماء ... وكشافات رجال العصابة المضيئة بمثابة إشارات ضوئية تُرشدهم إلى الطريق الصحيح ... وأخيرًا لامسوا مؤخرة السفينة فتسللوا من نافذة إحدى القمرات إلى قلبها، وسبحوا على مهلٍ داخل ممرات السفينة.

وبلغة الإشارة تساءلَت «إلهام»: أين حجرة القبطان؟

أشار «أحمد» إلى نقطة في نهاية الممر، فاقترب الجميع من بابٍ مغلق في نهاية الممر ... كانت فوق لوحة بالإنجليزية عليها عبارة «حجرة القبطان».

كان باب الحجرة مغلقًا ... ودفعه «أحمد» بعنف فانفتح ... واندفع الشياطين إلى قلب الحجرة التي تبعثرَت أشياؤها في قلبها ... ولكن ... كانت هناك خمسة صناديق من الصلب في أرضية الحجرة، لم يكن هناك شكٌّ في أنها صناديقُ الذهب المشغول ... ترامق الشياطين في سرور ... وتشاوروا بعلامة النصر ... وعندما حاولوا رفْعَ أحد الصناديق كانت مهمةً صعبة.

وبلغة الإشارة قال «عثمان»: إننا بحاجة إلى رافعة وحبال لرفع هذه الصناديق لأعلى ...

أجابه «أحمد»: من الضروري الصعود لأعلى الآن؛ فلم يتبقَّ معنا أوكسجين أكثر، واستداروا نحو باب القمرة ليغادروها ... ولكنهم جمدوا في مكانهم عندما شاهدوا الأخطبوط الضخم الذي كان يسدُّ باب القمرة عليهم ... وينظر إليهم بعينَيه القبيحتَين، وقد تحرَّكَت أذرعتُه الضخمة لتقبض عليهم، تراجع الشياطين في قلقٍ للوراء ... لم يكن معهم أيُّ سلاح يواجهون به عدوهم الرهيب ... الذي لو أمسكَت أذرعتُه بأحدهم والتفَّت حوله لاعتصرَتْه، ولم يكن معهم أوكسجين يكفيهم دقائق أخرى، حتى لو حاولوا البقاء في أماكنهم، إلى أن ينصرف الأخطبوط من المكان ... ولكن الأخطبوط لم تكن تبدو عليه الرغبة في أنه سيغادر مكانه قريبًا ... ولم يكن هناك أيُّ مخرج من القمرة غير بابها ... فحتى نافذتها الضيقة لم تكن تتسع لخروجهم ... وكان على الشياطين أن يتخذوا قرارًا سريعًا ... واتخذ «أحمد» القرار بالفعل ... وأشار إلى الباقين قائلًا: سوف نخوض معركتنا ضد هذا الأخطبوط اللعين.

تساءلَت «هدى» في قلق: ولكن ما هو السلاح الذي سنستخدمه؟

أشار «أحمد» إلى بعض العوارض الحديدية المتناثرة في المكان، وبقايا أرجل المقاعد الخشبية قائلًا بلغةِ الإشارة: فلتكن هذه هي أسلحتنا، ولنهجم معًا حتى نُشتِّتَ انتباهَ الأخطبوط ... والتقط الشياطين كلَّ ما وصلَت إليه أيديهم من عوارضَ حديديةٍ وخشبية

لها أطراف مدببة ... وفي حركةٍ واحدة اندفعوا نحو الأخطبوط ... وغرسوا أسلحتهم البدائية في أطرافه وأذرعته الجلدية السميكة بعنف، وانتفض الأخطبوط وتراجع للوراء، وقد التمع الغضبُ في عينَيه ... ثم اندفع نحو الشياطين وأذرعتُه تضرب الماء في عنفٍ كأنها سوط.

وقبل أن يتمكن الشياطين من غرس أسلحتهم في بدن وأذرعة الأخطبوط ثانية، صرخَت «إلهام» وقد التفَّ حولها إحدى أذرعة الأخطبوط، وراح يضغط عليها في قوة، واندفع «أحمد» وقد أدرك أنه لم يَعُد أمامه غيرُ حلٍّ واحد ... وأمل أخير ... وبكل قوته غرس الساق الخشبية التي معه في عين الأخطبوط، وانتفض للوراء في جنونٍ كأنه يصارع الموت ... فأفلتت «إلهام» من ذراعه ... وتراجع الأخطبوط للوراء وهو لا يرى أمامه ... وأشار «أحمد» للشياطين بانتهاز الفرصة ... وتسللوا من جانب الأخطبوط الذي لم يستطع رؤيتهم ... واندفعوا يسبحون في ممر السفينة حتى وصلوا إلى الفتحة التي دخلوا منها.

كان الأوكسجين في أسطواناتهم يوشك على النفاد ... وأشارَت «إلهام» بحاجتها إلى الأوكسجين، فأسرع «أحمد» بوضع قناعه فوق وجهها ... والتقطَت «إلهام» نفَسًا عميقًا من أسطوانة «أحمد»، ثم شرعوا يسبحون إلى أعلى بكل سرعتهم ... والأوكسجين يتناقص منهم بسرعةٍ رهيبة، وصدورهم تكاد تنفرج لقلة الهواء.

وأخيرًا وصلوا إلى سطح الماء، وفي سرعةٍ محمومة أزاحوا أقنعتهم عن وجوههم ليتنفَّسوا عميقًا ...

كانت المفاجأة المذهلة! عندما شاهدوا الزوارق المسلحة المليئة برجال العصابة، وقد أحاطَت بهم عشراتٌ من المدافع الرشاشة مصوَّبة إليهم، وقال أحد رجال العصابة لهم ملوِّحًا بسلاحه: لا فائدة من المقاومة، وإلا جعلنا أجسادكم مثل المصفاة من طلقات الرصاص.

ولم يكن بوسع الشياطين أن يفعلوا شيئًا، فرفعوا أيديَهم مستسلمين، وأشار لهم الرجال المسلحون بأن يركبوا أحد الزوارق تحت الحراسة.

ثم اتجه الزورق تجاه نقطةٍ بعيدة بأطراف الشاطئ، وهناك كانت سيارة جيب عريضة بانتظارهم بداخلها بعضُ المسلحين ... وأشار المسلحون للشياطين بركوب السيارة الجيب تحت الحراسة، وبداخل السيارة فوجئوا بالشخص الجالس بجوار سائقها ... كان هو «زيني أمان» العميل الخائن «٣-ب»، الذي قال لهم ساخرًا، وقد بدأت الجيب سيرَها في أطراف «بومباي»: مرحبًا بكم، من العجيب أنكم بسبعة أرواح، ولكم قدرة عجيبة على مصارعة الحيوانات المتوحشة.

إلهام: أيها الخائن ... هل أنتَ سعيدٌ بما فعلتَ؟

قهقه رقم «٣-ب»، وقال: لقد اكتشفتم الحقيقة مبكرًا، وأنا عرفت أنكم تشكون فيَّ عندما أخبرتموني أنكم ستغوصون مساء ... ثم غُصْتم بعد أن تركتُكم مباشرةً.

عثمان: إن للخائنين رائحةً إجرامية نعرفها جيدًا، وقد كانت رائحتك مقززة.

ابتسم «زيني أمان» قائلًا في سخرية: لقد أخطأتَ يا عزيزي، فإنني لم أَخُن أحدًا، فإنني لستُ «زيني أمان» أو العميل رقم «٣-ب».

تبادل الشياطين النظراتِ في دهشة ... وتساءلَت «هدى»: إذن مَن تكون أنت؟

أجاب: إنني مساعد «راج خان» الأول، وأُدعَى «جاك»، وقد قبضنا على رقم «٣-ب» الحقيقي، وبعد أن قُمْنا بتعذيبه اعترف لنا بكلِّ شيء قبل وصولكم، وهكذا حللتُ أنا محلَّه، والآن هل أعجبتكم اللعبة.

تساءل «أحمد» مقطبًا: إلى أين ستأخذوننا؟

أجاب «جاك»: سوف أذهب بكم إلى «راج خان»؛ فهو يرغب في رؤيتكم ... ولا بد أنه أراد أن يتسلَّى بكم قليلًا، إلى أن يتمكَّن رجالُنا من استخراج الذهب خلال الليلة وبعدها ...

وانطلق «جاك» مقهقهًا ... وكان لضحكته معنًى وحيد ... الموت!

«راج خان»!

توقَّفَت السيارة الجيب أمام أحد المعابد البوذية الكبيرة ... وظهر تمثال «بوذا الكبير» في مدخل المعبد، وقد طُلِيَ بالذهب الخالص ... على حين كان بعضُ الكهنة يدخلون ويخرجون من المعبد الكبير ... الذي عبقَت حولَه رائحةُ البخور واحتراق الشموع.

وأشار «جاك» إلى الشياطين قائلًا: هيَّا ... غادروا السيارة إلى المعبد.

تبادل الشياطين نظرةَ دهشة، وتساءلت «هدى»: هل يعيش «راج خان» داخل هذا المعبد البوذي الكبير؟

جاك: ها أنت قد استنتجتَ الحقيقة!

إلهام: إن هذا هو السبب في أن رجال الشرطة فشلوا في الوصول إلى مكان هذا المجرم المخادع، فمَن يمكنه أن يظنَّ أن معبدًا للصلوات يُقيم فيه مثل هذا المجرم الخطير؟

قال «جاك» ساخرًا: وحتى لو اهتدى رجال الشرطة إلى مكان «راج خان»، فإنهم لا يستطيعون اقتحامَ هذا المكان، وإلا ثار عليهم الناس، والآن هيَّا ... فإن «راج خان» لا يحب الانتظار طويلًا. ومن بابٍ جانبيٍّ راحوا يهبطون سردابًا يؤدي إلى أسفل المعبد، وكان من الواضح أن زعيم عصابة «المخلب الأسود» قد أقام لنفسه وكرًا تحت المعبد، وانتهى السرداب إلى صالة عريضة مزينة بأفخر أنواع الرياش، كأنها قاعدةٌ بأحد القصور ... ووقف الشياطين لحظة، قبل أن ينفتح الباب ويظهر في مدخله زعيمُ «المخلب الأسود» «راج خان».

رمق «راج» الشياطين لحظةً بعينَين ضيقتَين متجهمتَين، وتقدَّم إلى منتصف القاعة الواسعة، وعيناه تُرسلان ما يُشبه الوميض، وأخيرًا قال: إذن فأنتم مَن يُطلقون عليهم لقبَ الشياطين، كنت أظن أن رؤساءَكم سيرسلونكم جميعًا إلى «بومباي»، ولم يكتفوا بإرسال أربعة فقط.

أجابه «عثمان» ساخرًا: لا أظن أن مجرمًا تافهًا مثلك يستحق أكثر من ذلك!

حدَّق «راج خان» في «عثمان» لحظةً، ثم انفجر ضاحكًا وقال: تُعجبني شجاعتكم؛ فإن رؤساء عصابات أخرى كانوا يرتعدون هلعًا وهم يقفون مكانكم الآن عند مقابلتي.

وفي صوتٍ عميق رهيب أضاف: وأظن أنه سيحدث لكم نفس الشيء عندما نبدأ في تعذيبكم …

قالت «إلهام» غاضبةً: إن أيَّ شيء في العالم لا يمكن أن يصيبَنا بالهلع … حتى لو كان أشدَّ طرق التعذيب قسوة في العالم.

راج خان: لقد قال العميل «٣-ب» نفسَ الشيء … ولكن ما إن بدأنا في تعذيبه حتى راح يصرخ بكل الأسرار.

أحمد: وأين هو رقم «٣-ب» … هل قتلتموه؟

راج خان: لا … لقد ألقيناه في زنزانة ضيقة لا تتسع له حتى بالوقوف بداخلها، ولا حتى لكي ينامَ ممددًا … وسوف تُدركون أيَّ عذاب يلاقيه، عندما تُجربون نفس الشيء.

أحمد: لا أظن أنك أتيتَ بنا إلى هنا من أجل أن تتمتع بتعذيبنا … فقد كان يمكن لرجالك قتلنا ببضع رصاصات ونحن في قلب الماء.

راج خان: هذا صحيح تمامًا … ولكني أريدكم أحياء لأنكم تساوون عشرات الملايين، وبمعنًى أدق فإن المعلومات التي أريدها منكم تساوي الملايين … وهناك مَن هو على استعداد لأن يدفع ثمنًا يفوق أيَّ خيال لهذه المعلومات.

هدى: عن أي معلومات تتحدث؟

راج خان: لا داعيَ للمراوغة … أنتم تعرفون ما أعنيه بالضبط … إنني أريد معلوماتٍ كاملةً عن منظمة الشياطين الـ «١٣» وكل أسرارها، ومن أجل هذا أبقيتُ على حياتكم، وإلا سأرسلكم إلى الجحيم.

أحمد: إذا ظننتَ أنك ستحصل منا على أية معلومة فأنت واهم، إن إجراميًّا مثلك لا يمكن أن يُجبرَنا على ما لا نريد.

ضاقَت عينَا «راج خان» بغضبٍ هائل، وقال: حسنًا … فلنرَ كم ستتحملون من العذاب حتى تنفكَّ عقدة ألسنتكم، ولكني سأمنحكم مهلةً حتى الصباح؛ فربما تلين عقولكم وتعترفون بما أريد … وإلا … وأشار إلى رجاله فاندفع عددٌ من المسلحين نحو الشياطين شاهرين أسلحتهم، وسأل «عثمان» «أحمد» بلغةِ العيون: هل نهاجمهم الآن؟

ولكن «أحمد» أجابه: لا … إننا نرغب في إنقاذ العميل «٣-ب» أولًا ومعرفة مكانه، ولا بد أنهم سيسجنوننا في مكانٍ قريب منه.

قادهم الحراس إلى بابٍ جانبي هبطوا منه نحو ممرٍّ ضيق، تفوح منه رائحةُ رطوبة عفنة، وانتهى الممر إلى زنزانة ضيقة، كان يقف على حراستها ثلاثةٌ من الهنود المسلحين بالسيوف حول وسطهم، وتبدو على وجوههم القسوةُ الشديدة، وتبادل الحراس مع المسلحين بعضَ العبارات بالهندية التي لا يفهم منها الشياطين شيئًا، وكان يبدو على الحراس الضيق والغضب، فتساءلت «هدى»: ترى ماذا يقولون.

أحمد: يبدو أن الحراس يرغبون في بدء تعذيبنا فورًا، ولكن رجال العصابة يرغبون في تأجيل ذلك إلى الصباح كما أمرهم «راج خان».

التفتَ أحد المسلحين نحو «أحمد» صائحًا بالإنجليزية: غير مسموح لك بالكلام هنا أيها الغبي، ورفع يدَه ليهويَ بها فوق وجه «أحمد»، ولكن يدَ الحارس توقَّفَت في الهواء بألمٍ شديد، عندما أمسك «أحمد» بيده في الهواء، وراح يضغط فوقها بأصابع حديدية.

وقهقه الحراسُ الهنود الثلاثة في سخريةٍ من رجال العصابة، وكان من الواضح أن هناك بعضَ الخلاف بين رجال العصابة والحراس الثلاثة.

وانتزع المسلحُ يدَه من «أحمد» وقال للشياطين: سوف يكون انتقامنا منكم رهيبًا عندما تحين ساعتكم.

إلهام: لا أظن أن هذه الساعة ستحين أبدًا أيها الغبي.

فتح الحراس الزنزانة الضيقة، ودفعوا الشياطين إلى قلبها ثم أغلقوها بقفلٍ كبير من الخارج، وأطل أحدُ الحراس من نافذة الباب الحديدية، وهو ينظر إلى «إلهام» نظراتٍ حيوانية وبلغةٍ إنجليزية متكسرة قال لها: أنت جميلة جدًّا.

أجابته «إلهام»: وأنت أبشع مَن رأيتُ في حياتي.

فانطلق الحارس يضحك في حيوانية وهو يمسح شفتَيه ولُعابَه، وغاب عن الزنزانة، وتلفَّت الشياطين حولهم يتفحصون الزنزانة الضيقة، كانت مساحتها لا تزيد على متر ونصف في متر ونصف ... جدرانها من الصخر وليس بها مخرج غير بابها المغلق، الذي يستحيل الخروج من الزنزانة إلا من خلاله.

قالت «هدى» في غضب: يبدو أننا وقعنا في شرَكٍ ... إن هذه الزنزانة يستحيل الخروج منها.

فجأة همس «أحمد»: أنصتوا ... هناك صوتٌ خافت يأتي من مكانٍ ما.

أنصتَ الجميع ... كانت هناك أصواتُ أنَّاتٍ خافتة تأتي من خارج الزنزانة ... من زنزانة مجاورة، وكانت الأناتُ تبدو أنها صادرةٌ من شخص يتألَّم من شدة تعذيبه.

همس «أحمد»: ربما كان هو رقم «٣-ب» ... دعونا نتأكد.

وطرق «أحمد» جدارَ الزنزانة من الناحية التي تصدر منها الأنات، بطريقة «مورس» في الدق ... ومرَّت لحظةُ صمتٍ وتوقَّفَت الأنات ... كانت دقات «أحمد» تتساءل: مَن أنت ... هل لك علاقة برقم «٣-ب»؟

وجاءت الإجابة سريعًا على شكلِ دقاتٍ واهنة تقول: إنني «زيني أمان»، وقد قبضَت عليَّ العصابة وعذَّبَتني ... مَن أنتم؟

تبادل الشياطين النظراتِ، كان استنتاجهم في مكانه ... وأجاب «أحمد» على الدقات قائلًا: نحن مجموعةٌ من الشياطين الـ «١٣»، وسوف نسعى إلى إنقاذك ومغادرة هذا المكان. وجاءتهم الإجابة على شكلِ دقاتٍ تقول: هذا مستحيل، من المستحيل الفرار من هذه الزنازين اللعينة.

أحمد: لا تتعجل الأمور وانتظر!

والتفتَ «أحمد» إلى بقية الشياطين، فسأله «عثمان»: ما هي خطَّتك يا «أحمد»؟

أحمد: علينا مغادرة هذه الزنزانة قبل منتصف اليل، قبل أن يتمكَّن رجال «المخلب الأسود» من انتشال صناديق الذهب، وسوف تنقسم مهمتُنا إلى جزأين؛ أولهما: الحصول على الذهب لنُعيدَه إلى بلادنا، وثانيًا: إيقاع عصابة «المخلب الأسود» ورئيسها «راج خان» في قبضة الشرطة.

تساءلَت «إلهام» في قلق: وكيف نتمكن من ذلك ومغادرة هذه الزنزانة؟

أجابها «أحمد»: أنتِ التي ستقومين بذلك يا «إلهام».

تساءلَت «إلهام» في دهشة: أنا ... كيف ذلك؟

بصوتٍ خفيض راح «أحمد» يشرح لـ «إلهام» ما يقصده، وبعد أن انتهى سألها: ما رأيُكِ؟

أجابت «إلهام»: إنها خطةٌ جيدة ... وليس أمامنا غيرها.

أحمد: سوف ننتظر بعضَ الوقت لتنفيذها، لنتظاهر بالنوم أمام الحراس، لكي تسيرَ الخطةُ على النحو الموضوع.

جلس الشياطين في أماكنهم بالزنزانة الضيقة، وتظاهروا بالنوم لشدة التعب ... وبعد وقتٍ أطلَّ رأسُ أحد الحراس الهنود من نافذة باب الزنزانة، كان هو نفس الحارس ذي النظرات الحيوانية، وراح يراقب «إلهام» بعينين واسعتين ...

وتظاهرَت «إلهام» بأنها تستيقظ من نومها، ونهضَت واقتربَت من نافذة الباب، وبنظرةٍ واحدة لمحَت الحارسَين الآخرَين وقد نامَا، وكان هذا أقصى ما يطمع فيه الشياطين، فابتسمَت للحارس الثالث، وقالت له: إنني جائعة.

أجابها الحارس: ليس لكم أيُّ طعام!

فابتسمَت «إلهام» ابتسامةً واسعة، وقالت: ولكنك قلتَ إنني جميلة جدًّا، ولا بد أنك لن تضنَّ عليَّ ببعض عشائك!

أجابها الحارس: إنني مستعدٌّ لذلك، ولكن بشرط أن تتناوليه معي خارج الزنزانة!

وغمز بعينَيه في إشارة واضحة، فضحكَت «إلهام» قائلةً: إنني موافقة.

تلفَّت الحارس حوله في حذر ... وعندما اطمأنَّ أخرج من جيبه سلسلةَ مفاتيح كبيرة، وأدار إحداها في قفل الباب ففتحه.

وما كاد باب الزنزانة ينفتح ... حتى انفتحت أبواب الجحيم الأخرى!

أبواب الجحيم!

انفتحَت أبواب الجحيم ... وأبواب الجحيم لا يفتحها عادة غير الشياطين ... فما كاد الحارس الغبي يفتح باب الزنزانة، حتى طوَّقَت «إلهام» رقبتَه بيدها في عنفٍ هائل من الخلف ... حتى ترنَّح الحارس من شدة الألم ... وقالت له وهي تضغط عليه أكثر: من المؤسف أن شهيتي للطعام قد ضاعَت، عندما شاهدتُ وجهكَ القبيح!

وضربَته ضربةً قوية فترنَّح الحارس وسقط على الأرض، وفي نفس اللحظة قفز بقيةُ الشياطين خارجين من زنزانتهم، وأفاق الحارسان الآخران ليجدَا أنفسهما مع الشياطين وجهًا لوجه.

كانت المعركة قصيرة خاطفة، تمدَّد بعدها الحراس الثلاثة داخل الزنزانة مقيدين مكمَّمي الأفواه.

وأغلق «أحمد» عليهم الباب قائلًا: بهذا نضمن ألَّا ينكشفَ أمرُ هربِنا قبل الصباح.

عثمان: فلنُسرع بإخراج رقم «٣-ب» من زنزانته.

فتح الشياطين زنزانة «زيني أمان» بالمفاتيح التي أخذوها من الحراس، وكان رقم «٣-ب» راقدًا أمامهم يُعاني من آلامٍ شديدة.

ظهر الألمُ على وجهِ «إلهام»، وقالت: هؤلاء الوحوش ... لقد كادوا يقتلونه!

قال «زيني أمان» في ألمٍ: لقد أجبروني على الاعتراف بأسرار هذه العملية ... لقد صمدتُ طويلًا للتعذيب، ولكنني اضطررتُ للاعتراف في النهاية.

عثمان: ثِقْ أنهم سيدفعون ثمنَ ذلك غاليًا ... والآن عليك أن تحاول الوقوف على قدمَيك لإخراجك من هنا.

تحامل رقم «٣-ب» على نفسه، واستندَ على أكتاف الشياطين، واتجهوا إلى نهاية الممر وصَعِدوا إلى السرداب، ووقفوا في قلقٍ، وقال «أحمد»: أخشى أن يرانا بقيةُ رجال العصابة إذا حاولنا الخروج.

قال رقم «٣-ب»: إنني أعرف طريقًا آخر يؤدي إلى الخروج.

هدى: خُذْنا إليه.

سار الشياطين خلف «زيني أمان» الذي استعاد حماسَه، وبدَا كأنه شيطانٌ جديد ينضمُّ إلى بقية الشياطين، وقادهم رقم «٣-ب» إلى ممرٍّ آخرَ كان ينتهي ببابٍ مصفح مغلق، أخذَت «إلهام» تُعالج قُفْلَه حتى انفتح أخيرًا ... وظهرَت السماء أمامهم في الخارج، فقال «عثمان»: لقد تحرَّرنا.

هدى: فلنُسرع إلى الميناء قبل أن يتمكنَ رجال العصابة من إخراج الذهب الغارق!

أحمد: إننا بحاجة إلى أسلحة أولًا.

زيني أمان: سأقودكم إلى مخزن للسلاح تملكه العصابة، تستطيعون أن تأخذوا منه ما تشاءون.

إلهام: سيكون هذا رائعًا ... أن نحارب هؤلاء المجرمين بسلاحهم.

قال رقم «٣-ب»: إننا بحاجة إلى سيارة سريعة أولًا.

كانت السيارة الجيب التابعة للعصابة لا تزال في مكانها أمام أبواب المعبد ولا أحدَ بها، فتسلَّل «أحمد» إليها، وأدار محركاتها بطريقة خاصة ... وقفز بقية الشياطين ورقم «٣-ب» إلى داخل السيارة، وقادها «أحمد» إلى مكانٍ ناءٍ قادَهم إليه «زيني أمان»، وتوقَّفَت السيارة أمام كوخ كبير من الخشب يُحيطه الظلام، قال رقم «٣-ب» هامسًا: في هذا المكان ستعثرون على كلِّ ما تحتاجون من أسلحة.

أحمد: هل به حراسٌ كثيرون؟

أجاب «٣-ب»: ثلاثة على الأكثر.

أحمد: سأذهب أنا و«عثمان» لاقتحامه ... ولينتظرنا الباقون.

تسلَّل الاثنان نحو الكوخ ودارَا حوله ... ومرَّت لحظات ... وسمع الباقون صوتَ ضربات مكتومة ... ولم تكَدْ تمرُّ دقيقة واحدة حتى ظهر «أحمد» و«عثمان»، وهما يحملان عددًا من القنابل والمدافع الرشاشة وقنابل الأعماق وضعوها داخل السيارة، وقال «عثمان» ضاحكًا: لقد تسلَّحنا بما يكفي جيشًا.

تساءلَت «هدى»: والحراس داخل المخزن؟

أحمد: إنهم يغطون في نومٍ عميق.

إلهام: كان عليكما تفجيرُ هذا المخزن بأسلحته.

أحمد: لقد قمنا بتشغيل إحدى القنابل الزمنية التي عثرنا عليها داخل المخزن لتنفجر بعد ساعة بالضبط، بعد أن نكون قد أتممنا مهمَّتَنا؛ فتفجير المخزن الآن سيلفت الأنظار إلى هروبنا ... ويُفسد خططنا ... وقد وضعنا الحراس في الخارج حتى لا يقتلَهم الانفجار ...

قال «عثمان»: ولكني لا أشك أنهم عندما يستيقظون من غيبوبتهم على صوت الانفجار الرهيب، سوف يُصابون بصدمة رهيبة ينسون معها أسماءَهم.

ابتسم الشياطين لدعابةِ «عثمان»، وانطلقَت بهم السيارة الجيب تجاه الشاطئ ... وأطفأ «أحمد» محركاتِ السيارة ... وقال «أحمد»: إننا بحاجة إلى زورق سريع.

أشار «عثمان» إلى أحد الزوارق الواقفة على الشاطئ، وقال هامسًا: ها هو أحد زوارق رجال خفر السواحل ... من العجيب أنه خالٍ من أصحابه!

أحمد: لستُ أشكُّ أن هذا الزورق خاصٌّ بذلك الضابط الذي شاهدناه في قلب الماء بعد نجاتنا من الأسماك المتوحشة، وأنه قام بصرف جنوده حسب أوامر العصابة، حتى لا يشاهدوا عملية إنقاذ الذهب.

إلهام: هذا الضابط المرتشي، إنه بحاجةٍ إلى عقابٍ سريع!

ظهر الضابط أمامهم وهو يسير على الشاطئ يُدندن بأغنية عاطفية عن «ملاك الحب» الذي سيأتيه من السماء بمحبوبته، ثم توقَّف ذاهلًا عن الغناء عندما شاهد «إلهام» تبرز له في الظلام، فسألها: مَن أنتِ؟

أجابَته ساخرة: إنني ملاك الحب الذي كنتَ تبحث عنه ... وقد جئتُ لك بهدية خاصة.

سألها الضابط في شك: ما هي هذه الهدية؟

إلهام: ها هي هديتي أيها المرتشي الفاسد الأخلاق!

طارَت «إلهام» في الهواء، وبضربةٍ هائلة أطاحَت بالضابط إلى الوراء ... ثم هوَت عليه بضربةٍ قوية ... ففقد الضابطُ وَعْيَه ... وقفز الشياطين إلى الزورق ومعهم رقم «٣-ب»، وقد نقلوا كلَّ أسلحتهم إلى داخل الزورق ... وبدَّل «أحمد» ملابسه بملابس الضابط ... ثم انطلق الزورق تجاه زوارق رجال العصابة الذين كانوا قد نجحوا في استخراج أربعة من صناديق الذهب ...

همس «أحمد» للباقين: أخفضوا رءوسكم.

فاستلقى الشياطين داخل الزورق وأيديهم على أسلحتهم، ودنا الزورق حتى اقترب من زوارق رجال العصابة التي أخرجَت الصندوق الخامس، وكانت السماء مظلمة، بحيث

إنه كان من الصعب تمييز الملامح ... وما إن شاهد رجال العصابة زورقَ خفر السواحل يقترب حتى ظنوا أن بداخله ذلك المرتشي، وكان «جاك» فوق أحد الزوارق، فسأل «أحمد» وهو يظنُّه ذلك الضابط: ما الذي جاء بك إلى هنا، ألم نتفق أن يظلَّ الزورق على الشاطئ.

أجابه «أحمد»: إن المبلغ الذي منحتموه لي لا يعجبني ... إنني أريد نصيبي في الذهب.

غمغم «جاك»: أيها الغبي ... إنك لن تحصل إلا على الموت.

وأعطى إشارةً لرجاله، ولكن حركة الشياطين كانت أسرع، فقد انطلقَت رصاصاتُهم وقنابلهم تحصد رجال العصابة ... وصاح «أحمد» في الشياطين: لا تؤذوا زورق «جاك»؛ فإن صناديق الذهب بها. وطارَت قنابل الشياطين ورصاصاتهم تحصد بقيةَ الزوارق، وألقَت «إلهام» بعددٍ من قنابل الأعماق في قلب الماء، فتفجرَت بقوةٍ جعلَت سطح الماء يتراقص كأنه يغلي.

واندفع «جاك» هاربًا بزورقه فانطلق الشياطين خلفه ... وأطلق «جاك» الرصاص تجاه زورق الشياطين فأخطأهم بسبب الظلام، واقترب الزورقان ... وقفز «أحمد» بحركةٍ بارعة إلى داخل زورق «جاك»، وبضربة واحدة ألقاه إلى قلب الماء، فاصطدم بزورق الشياطين القادم من الوراء فتمزق إلى أشلاء.

أغمضَت «هدى» عينَيها متألمة، وقال «عثمان»: إنه يستحق ما جرى له.

أوقف «أحمد» الزورق ... وراح يتأمل صناديقَ الذهب، ثم ابتسم لبقية الشياطين وقال لهم: لقد نجح الجزء الأول من عمليتنا.

إلهام: علينا إخفاء هذه الصناديق إلى أن تتمَّ بقيةُ مهمتنا بإيقاع بقية العصابة، و«راج خان» في قبضة الشرطة.

أحمد: سندفن هذه الصناديق في الرمال على الشاطئ.

قاد الشياطين الزورق إلى مكانٍ متطرف مظلم على الشاطئ ... وقاموا بصنع حفرة كبيرة وأخفَوا الصناديق بها، ثم أهالُوا التراب فوقها بحيث عادَت كما كانت ... ووضعوا علامةً تدل على مكان الصناديق ...

قال «عثمان»: والآن فلنَعُد إلى وكر «راج خان».

قال «زيني أمان» في قلق: أليس من الأفضل إبلاغ الشرطة بمكان هذا المجرم بدلًا من المخاطرة بدخول هذا الوكر مرةً أخرى؟

أحمد: مَن يدرينا أن بعضًا من رجال الشرطة قد يكونون متواطئين مع هذا المجرم ويسمحون له بالهرب، وربما يُلقون القبض علينا بأية تهمة.

إلهام: وما العمل إذن يا «أحمد»؟

ضاقَت عينَا «أحمد» وقال: إن لديَّ خطة، سأشرحها لكم عند وصولنا إلى المعبد، والآن هيَّا بنا إلى السيارة الجيب.

وقفزوا جميعًا إلى السيارة الجيب التي انطلقَت بهم عائدة إلى وكر «راج خان»، و«أحمد» ينظر في ساعة يده بقلق.

فقد كانوا في سباقٍ مع الزمن ...

«وكر» راج خان!

توقَّفَت السيارة الجيب على مسافةٍ من المعبد، وقفز منها الشياطين ورقم «٣-ب» مقتربين بجوار المعبد ... فشاهدوا عددًا كبيرًا من الناس يدخل إلى المعبد ... فتساءلَت «هدى» في دهشة: لماذا يدخل الناس في هذا الوقت المتأخر؟

أجابها «زيني»: إن الليلة أحد أعياد «بوذا»، وتُقام فيه الصلوات داخل المعبد!

أحمد: هذا رائعٌ، كأن الأقدار تقف في صفِّنا ... فهذا ما كنَّا نحتاجه بالفعل.

تساءل رقم «٣-ب» في قلق: ماذا تقصد؟

وانتحى «أحمد» برقم «٣-ب» في أحد الأركان، وراح يشرح ما يقصده ... وبعد قليلٍ سأله: ما رأيك؟

أجاب «زيني»: إنها خطةٌ رائعة ... ولكني أخشى عليكم.

أحمد: لا تخشَ شيئًا!

وأشار إلى بقية الشياطين قائلًا: هيَّا بنا.

اندفع الشياطين متسلِّلين إلى داخل المعبد من المكان الذي كانوا قد غادروا المعبد خلاله قبلًا ... على حين بقيَ رقم «٣-ب» خارج المعبد في أحد الأركان ينظر في ساعته.

اندفع الشياطين إلى داخل القاعة الكبيرة تحت المعبد، واعترضهم ثلاثةٌ من الحراس، ولكن قبضات الشياطين وضرباتهم أرسلَت رجال العصابة الثلاثة إلى الغيبوبة، وفوجئ «راج خان» بالشياطين الأربعة، فحدَّق فيهم ذاهلًا وقال: كيف تمكنتم من الهرب من زنزانتكم والمجيء إلى هنا؟

أجابه «أحمد»: إن الشياطين لا تُوقفها الأبواب والزنازين ... وقد جئنا لتسوية الحساب القديم الذي بيننا؛ فنحن نرغب في الحصول على كلِّ ما استوليتم عليه من ذهبٍ سابق يخصُّ بعضَ الدول العربية، ضحك «راج خان» ساخرًا، وقال: إنكم تبدون واثقين من أنفسكم

إلى الدرجة التي تفرضون بها شروطكم. ولمَعَت عيناه بالغضب الهائل وهو يقول: والآن سوف ألقِّنكم درسًا هائلًا.

ضغط على زرٍّ بجواره، فقال «عثمان» ساخرًا: لا فائدة من ذلك، فليس هناك أيُّ حراس سيأتون لحمايتك؛ فقد أرسلناهم جميعًا إلى الجحيم، فهذا هو مصير مَن يحاول اعتراض طريق الشياطين.

أحمد: أما رجال عصابتك الذين ذهبوا للحصول على الذهب، فقد أرسلناهم إلى مكانٍ آخر، سيبقَون فيه إلى الأبد ... إنه جهنم ... وقد حصلنا على الذهب الغارق.

غمغم «راج خان»: أنتم كاذبون ... هذا مستحيل.

ألقى «أحمد» بنظرة إلى ساعته، وقال: سنُثبت لك أننا لم نكذب أبدًا ... الآن.

في نفس اللحظة دوَّى صوتُ انفجار هائل بعيد ... وبرغم بُعْدِ المكان؛ فقد كان صوت الانفجار الواضح هائلًا ...

هتف «راج خان»: ما هذا الصوت ... إنه انفجار.

أحمد: هذا صحيح، فهو انفجار قنبلة صغيرة تركناها داخل مخزن أسلحتك وقنابلك ... ولا بد أنه تحوَّل الآن إلى شعلةٍ من الجحيم.

صاح «راج خان» في غضب هائل: أيها الملاعين.

والتقط مدفعًا رشاشًا من جواره وأطلق دفعة رصاص تجاه الشياطين، ولكنهم قفزوا في اللحظة المناسبة مبتعدين عن مرمى الرصاص، وبحركة بارعة، قفز «عثمان» في الهواء وسقط خلف «راج خان»، وأمسكه من الخلف بذراع حديدية ...

اندفع إلى القاع عددٌ من رجال العصابة الذين جذبهم صوتُ الرصاص، ودارَت معركةٌ هائلة بين الفريقين ... وراح «عثمان» يشدد ضغطَه فوق رقبة «راج خان»، وهو يسأله: من الأفضل أن تُخبرَنا بمكان بقية الذهب وإلا ...

أجاب «راج خان» في صوتٍ مُتحشرج: إنه يقع في حجرة بالسرداب بأسفل، بعد صفِّ الزنازين مباشرةً.

عثمان: هذا حسن.

وفي نفس اللحظة كان الشياطين قد انتهَوا من معركتهم مع رجال العصابة، وسمعوا أصواتَ أقدامٍ كثيرة مهرولة وصيحات غاضبة، فقالت «هدى» في قلق: هل جاء مزيد من رجال العصابة؟

ابتسم «أحمد» في غموض قائلًا: بل جاء آخرون ليسوا من رجال العصابة بكل تأكيد.

واندفع إلى الداخل عددٌ كبير من المصلين وكهنة معبد بوذا ومعهم «٣-ب» الذي أشار نحو «راج خان» قائلًا: هذا هو المجرم الذي دنَّس معبدكم ويختفي بعيدًا عن عيون رجال الشرطة. اندفع المصلُّون والكهنة إلى «راج خان»، وراحوا يلطمونه بقسوة، ثم قيَّدوه مع كل رجال عصابته وحملوهم خارجًا إلى مركز الشرطة.

قال «عثمان»: لقد كانت خطةً رائعة يا «أحمد».

أحمد: مهما كان تواطؤ رجال الشرطة مع هذه العصابة، فإنهم أمام ثورة الجماهير لن يتوانَوا عن سَجْن «راج خان» وعصابته أعوامًا طويلة.

إلهام: فلنُسرع بالحصول على الذهب.

عصابة المخلب الأسود!

واندفع الشياطين إلى السرداب، وفي المكان الذي وصفه «راج خان» شاهدوا حجرةً ذات بابٍ مغلق، حطَّم الشياطين قُفْلَها بالرصاص، وما إن انفتح الباب حتى شاهدوا عددًا من الصناديق المليئة بالذهب المشغول الثمين، حملوها إلى الخارج، حتى امتلأَت بها السيارة الجيب ... وقادها الشياطين مرةً أخرى تجاه الشاطئ.

أوقف «أحمد» السيارة، وقال «عثمان» متسائلًا: ما العمل الآن؟

إلهام: علينا إرسال رسالة عاجلة إلى رقم «صفر»؛ فنحن بحاجةٍ إلى إحدى السفن لننقل هذا الذهب إلى الخليج العربي.

هدى: ولكننا لا نملك جهاز إرسال.

أحمد: والوقت ليس في صالحنا؛ فربما يعترف «راج خان» بكل شيء للشرطة، فيحاولون مطاردتنا والحصول على الذهب.

هتف «زيني أمان»: إنني أمتلك جهاز إرسال واستقبال خاصًّا في منزلي، ولكن مداه صغير لا يتعدَّى حدود الهند.

أحمد: فلنحاول استخدامَه، فلعل هناك أعوانًا آخرين لرقم «صفر» يستطيعون مساعدتَنا ويوجدون قريبًا منا.

عثمان: علينا أن نقوم بإخفاء الذهب أولًا.

قام الشياطين بإخفاء بقية الذهب بجوار الصناديق الخمسة ... واتجهوا إلى منزل «زيني أمان» الذي كان يقع في وسط نيودلهي، فوصلوه قرابة الفجر، وكانوا حسنِي الحظ ... فقد التقط رسالتَهم أحدُ أعوان رقم «صفر»، الذي أجابهم قائلًا: لا تقلقوا فسوف تصل سفينةٌ خاصة إلى الشاطئ خلال ساعتين.

انتهى الاتصال، وقال «عثمان» مبتهجًا: إن رقم «صفر» رجلٌ رائع؛ فهو لا يترك شيئًا للظروف.

إلهام: من المؤكد أن هذه السفينة كانت تنتظر قريبًا منا دون أن ندري.

أحمد: والآن فلنَعُد إلى الشاطئ.

واتجهوا إلى السيارة الجيب التي انطلقَت تقطع بهم الطريق إلى منطقة الشاطئ والميناء مرة أخرى، وهناك كانت في انتظارهم سفينة خاصة، ما إن شاهد الشياطين الأربعة ركَّابَها حتى هتفوا من السرور والدهشة.

كان ركاب السفينة من الشياطين أيضًا، كانوا بقيةَ الشياطين وقد ارتدوا ملابس الملاحين والبحارة، تصافَحَ الفريقان في سرور، وقالت «إلهام»: هذه مفاجأة!

قال «قيس»: لقد طِرْنا خلفكم إلى «بومباي» حسب أوامر رقم «صفر»، وكانت التعليمات بألَّا نتدخل في الأمر إلا إذا تلقَّينا رسالةً منكم، وكنَّا بالطبع نعرف أن رقم «٣-ب» يمتلك جهاز إرسال، يمكنكم أن تبثُّوا منه رسالتكم، وقبلها كنَّا قد استعددنا باستئجار هذه السفينة؛ لتعود بنا مع الذهب إلى بلادنا.

خالد: كانت خطَّتُكم في إيقاع «راج خان» رائعة … فقد تأكدنا من تستُّر بعضِ رجال الشرطة عليه … ولولا هجوم الجماهير عليه وغضبها، ما وافق رجال الشرطة على حبسه وتقديمه للمحاكمة بتهمٍ عديدة، ستُلقِي به في السجن إلى نهاية عمره!

تساءلَت «هدى»: ولكن لماذا لم يُخبرونا بحقيقة شخصيتكم عندما تلقَّيتم رسالتنا؟

أجابَتها «زبيدة» ضاحكة: كانت المفاجأة ستضيع لو فعلنا ذلك.

قام الشياطين بنقل الذهب إلى السفينة …

وبعد قليلٍ كانت السفينة الكبيرة تأخذ طريقَها في قلب المحيط متجهةً إلى الخليج العربي، بعد أن أتمَّ الشياطين عملَهم بنجاح.

وقف رقم «٣-ب» يلوِّح للشياطين في سفينتهم، حتى غابوا عن عينَيه، ثم استدار عائدًا … لقد أتاح له الحظُّ أن يلتقيَ بأعجب المغامرين في العالم … وكانت سعادته تلك اللحظة تفوق كلَّ آلامه …

هنـــداوي